

الزنبليون

وأثرهم في الحياة السياسية والعلمية
في الدولة العباسية

د. محمد بن سليمان الراجحي

قسم التاريخ - كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
جامعة القصيم

ملخص البحث :

"الزنبليون" : فرع من فروع الأسرة العباسية ، ينحدرون من نسل " محمد بن إبراهيم . المعروف بالإمام - بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس " ، ابن أخ الخليفين " أبي العباس السفاح " و " أبي جعفر المنصور . وقد عُرفوا بـ " الزنبين " نسبة إلى جدّتهم " زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس " - زوجة " محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي الأنف الذُكْر . وقد حاولتُ الدراسة استقصاء أخبار هذا الفرع من فروع الأسرة العباسية ، وبيان ما كان لأعلامه من أثر في الدولة العباسية خلال الفترة التي برزوا فيها . وقد كشفت الدراسة عن عدد من النتائج ، من أهمّها: أنّ القرنين الخامس والسادس الهجريين هي الفترة التاريخية الرئيسة التي اشتهر فيها الزنبليون في العصر العباسي ، وأن العديد من " الزنبين " حظيَ بثقة الخلفاء العباسيين ، يدلّ على ذلك أنهم كانوا يعهدون إليهم ببعض المهامّ الجليلة ، إضافة إلى توليتهم بعض المناصب المهمّة في الدولة العباسية ، كما تبيّن لنا في هذا البحث أنّ " علي بن طراد الزنبلي " كان أبرز أعلام " الزنبين " وأوسعهم شهرة وأكثرهم أثراً في الحياة السياسية في الدولة العباسية ، و اتضح أنّ " الزنبين " عاشوا جُلّ أيامهم في حاضرة الخلافة العباسية " بغداد " . كما تولّى عدد من أبناء الأسرة الزنبية " نقابة العباسيين " في حاضرة الخلافة العباسية لعهود طويلة ، حتّى إنّها أضحت حَكراً عليهم في بعض الفترات دون غيرهم ، مما يدل على المنزلة العالية التي كانوا يتبوّأونها عند الخلفاء العباسيين .

مقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

من المعروف - تاريخياً - أن الدولة العباسية عُمّرت ما يربو على خمسة قرون من الزمن ، تعاقبَ على حكمها خلال هذه الفترة سبعة وثلاثون خليفة ، تباينوا فيما بينهم قوّة وضعفاً ، وانحصرت شهرة الأسرة العباسية غالباً في هؤلاء الخلفاء - ولا سيّما المميّزين منهم - ومَن كان يُحيط بهم من الأسماء العباسية البارزة في بعض الفترات .

ومع مرور الزمن تفرّعت الأسرة العباسية إلى فروع عدّة ، شأنها في ذلك شأن أيّ أسرة عربية كبيرة ، وعُرف بعضها بأسماء أو ألقاب ميّزتها عن غيرها من الفروع الأخرى ، وحظيت ثلّة منها بمكانة عالية وشهرة واسعة في بعض العهود ، بينما ظلّ البعض الآخر منها بعيداً عن الأضواء ، ولم يَعدْ له ذكر في صحائف التاريخ .

ومن فروع الأسرة العباسية " الزنبليون " ، الذين اتّسعت شهرة عدد منهم وذاع صيتهم في بعض الفترات ، ولا سيّما في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، حيث عاش في هذه الفترة معظم أعلامهم ، وصار لبعضهم في تلك العهود حضور ملموس في الحياة السياسية في البلاط العباسي ، حيث شغلوا مواقع مهمّة ، ومنها الوزارة ونقابة العباسيين وغيرها ، كما كان للعديد منهم أثر في ميادين الحياة العلمية في الدولة العباسية .

وقد حَظي " الزنبليون " بمقام رفيع عند عدد من خلفاء بني العبّاس ، فكانوا يُظهرون لهم الكثير من التقدير والتبجيل ، ليس لكونهم من بني عمومتهم ومن

أبناء الأسرة العباسیة فحسب ، بل لكونهم أيضًا على جانب من الفضل والأخلاق النبيلة ، كما شهد لهم بذلك العديد من أعلام المؤرخین .. كما حظي " الزنبیون " باحترام واسع من جانب كثير من الناس الذين عاصروهم أو عاشوا فی العصور التالية ، وبخاصة العلماء .

وفي هذه الدراسة حاولتُ استقصاء أخبار هذا الفرع من فروع الأسرة العباسیة ، وبيان ما كان لأعلامه من أثر فی الدولة العباسیة خلال الفترة التي برزوا فيها .. وقد عرفتُ فی البداية بأبرز أعلام " الزنبیین " ، ثم تناولتُ بعد ذلك ما كان لهم من أثر فی الحیاة السیاسیة فی الدولة العباسیة ، وما تبوأه بعضهم من منزلة مهمّة عند الخلفاء ، ومن ثمّ تحدّثتُ عن أثرهم فی الحیاة العلمیة ، ولا سیّما فی الفترات التاریخیة التي اشتهروا فی أثنائها فی الدولة العباسیة .

وفي الخاتمة استخلصتُ أهمّ النتائج التي خرجتُ بها من خلال دراستي لهذا الموضوع .

* * *

الزنبليون :

" الزنبليون " : فرع من فروع الأسرة العباسية ، ينحدرون من نسل " محمد بن إبراهيم - المعروف بالإمام - بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس " ، ابن أخ الخليفتين " أبي العباس السفاح " و " أبي جعفر المنصور " ^(١) . وقد عُرفوا بـ " الزنبليين " نسبة إلى جدّتهم " زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس " - زوجة " محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي " ^(٢) - الأنف الذّكر - يقول

(١) عن نسب " الزنبليين " انظر : (ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت ، ص ٣٠٥ ، السيوطي : رفع الباس عن بني العباس ، تحقيق : يحيى محمود بن جُنيد ، مجلّة " عالم المخطوطات والنوادر " ، المجلد الثامن ، العدد الثاني ، رجب - ذو الحجة ١٤٢٤هـ / سبتمبر ٢٠٠٣م - فبراير ٢٠٠٤م ، ص ٢٩٥) .

(٢) أشار بعض المؤرخين إلى أنّ " زينب بنت سليمان بن علي " كانت زوجة لـ " إبراهيم بن محمد بن علي العباسي " ، المعروف بـ " إبراهيم الإمام " ، حيث ذكر العلامة " ابن حزم " - مثلاً - أنّ " عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام " - المعروف بالزنبلي - يُنسب إلى جدّته أمّ أبيه " زينب بنت سليمان " . (جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٣١) . كما ذكر " السمعاني " أنّ " زينب " كانت زوجة لـ إبراهيم الإمام " على سبيل الظنّ ، حيث يقول : " وظنّي أنها زوجة إبراهيم الإمام " . (الأنساب ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، الطبعة الأولى ، دار الجنان ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ج ٣ ، ص ١٩١) . وتابعه في ظنّه هذا " ابن الأثير " في كتابه (اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ج ٢ ، ص ٨٨) . غير أنّ أكثر المؤرخين متفقون على أنها كانت زوجة لـ " محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي " ، ومن هؤلاء المؤرخين " البلاذري " الذي نصّ - عند تعداده لأبناء " سليمان بن علي ابن عبد الله بن عباس " - أنّ ابنته " زينب " تزوّجها محمد بن إبراهيم الإمام " . (جُمَل من أنساب الأشراف ، تحقيق : سهيل زكّار ، رياض زركلي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج ٤ ، ص ١٢٨) . و " ابن الجوزي " الذي أشار إلى ذلك أيضًا ، وذكر أنّ وُلدّه منها ينتسبون إليها . (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج ١٠ ، ص ١٩٨) . و " سبط ابن الجوزي " ، الذي نصّ على أنّ " محمدًا " تزوّجها ، فأنجبت له ابنه " عبد الله " . (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، (٤٨١ - ٥١٧هـ / ١٠٨٨ - ١١٢٣م) ، تحقيق : مسفر

المؤرخ "ابن الأثير" عند إشارته إليها : " وإليها يُنسب الزنبليون من العباسيين " ^(١) ، ويقول المؤرخ "ابن الطقطقي" في أثناء حديثه عن تولي "علي ابن طراد الزنبلي" - وهو أحد أعلام الزنبليين - الوزارة في عهد الخليفة "المسترشد بالله" : " .. وإثما عُرفوا [أي علي بن طراد وآبائه] بالزنبليين ، لأن أمهم زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، عُرفوا بها " ^(٢) .

وُلدت "زينب بنت سليمان" في السنوات الأخيرة من العصر الأموي ، ونشأت مع أهلها في بلدة "الحُمَيْمة" ^(٣) بالشام ، وعُمّرت طويلاً ، وعاصرت عدداً من بني عمّها خلفاء بني العباس ، وهم "أبو العباس السفّاح" و "أبو جعفر المنصور" و "محمد المهدي" و "موسى الهادي" و "هارون الرشيد" و "محمد الأمين" و "عبد الله المأمون" ^(٤) . وكانت لها منزلة عالية في أهل بيتها ، يقول "سبط ابن الجوزي" مشيراً إلى ذلك : "وكانت عظيمة في بني العباس ، تُعدّ في الفضلاء" ^(٥) .

أنجبت "زينب" من زوجها "محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي العباسي"

بن سالم بن عريج الغامدي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ج١ ، ص ٣١٦ . و "الذهبي" الذي ذكر أكثر من مرة أنّ "عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام" هو ابنها . (سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ج١٠ ، ص ٢٣٨) .

(١) الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ج٥ ، ص ٥٦٤ .

(٢) الفخري في الآداب السلطانية ، ص ٣٠٥ .

(٣) "الحُمَيْمة" : بلدة من نواحي "عمّان" - بالأردن - في أطراف بلاد الشام . (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ج٢ ، ص ٣٠٧) .

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص ٢٣٨ .

(٥) مرآة الزمان ، ج١ ، ص ٣١٦ .

ابنها " عبد الله " ^(١) ، الذي بات يُعرف بـ " الزنبلي " ^(٢) ، ومن المرجح أنه أول من عُرف بهذا اللقب من " الزنبين " ، ومن ذريته كان أبناء البيت الزنبلي ، يقول " الذهبي " في أثناء ترجمته لـ " زينب " : .. فطراد الزنبلي وأقاربه من ذرية عبد الله ولدها " ^(٣) . ومع أنّ والده " محمد بن إبراهيم الإمام " كان له أبناء آخرون إلا أنّ ذرية هؤلاء الأبناء وأحفادهم لم يشتهروا بـ " الزنبين " ، وربما كان مردّ ذلك أنّ " زينب بنت سليمان " لم تكن أمّاً لهم ، بل كانوا - في الغالب - من أمّهاتٍ أُخر .

ومن أوائل من عُرف من " الزنبين " " عبد الله بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام " ، المعروف بـ " الزنبلي " ، عاش في القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي - وأشار إليه عدد من أعلام المؤرخين ، كالطبري ^(٤) ، و " ابن حزم " ^(٥) ، و " ابن الأثير " ^(٦) ، و " ابن كثير " ^(٧) في مواقف مختلفة ، يُستشفّ منها أنّه كان من الرجال المعروفين في البلاط العباسي ، والمقربين من بعض الخلفاء .

ومن " الزنبين " الأوائل الذين أشارت إليهم بعض كتب التراجم ، " أبو بكر محمد بن موسى بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم

(١) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٣١٦ .

(٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص ٢٣٨ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، ج٩ ، ص ٣٧٧ .

(٥) جمهرة أنساب العرب ، ص ٣١ - ٣٢ .

(٦) الكامل ، ج٧ ، ص ١٨٣ .

(٧) البداية والنهاية ، دار هجر ، القاهرة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ج١٤ ، ص ٤٩٥ .

الزيني العباسي " ، وقد عاش في فترة النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع ، وأورد له " السيوطي " في كتابه " رفع الباس " ترجمة مقتضبة ، أشار فيها إلى أنه تتلمذ على بعض علماء عصره ، كما قرأ عليه عدد من طلاب العلم ، وتوفي سنة ٣١٨هـ / ٩٣٠م^(١) .

وفي القرن الرابع الهجري اشتهر من الزينيين " أبو تمام الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الزيني " ، وكان جدّه " عبد الوهاب " ابن عمّ لأبي بكر محمد بن موسى الزيني ، الذي ذكرناه آنفاً ، تولّى " أبو تمام " نقابة الهاشميين^(٢) فترة من الزمن ، كما تولّى القضاء في مدينة البصرة ، وتوفي سنة ٣٧٢هـ / ٩٨٢م^(٣) .

وكانت فترة القرنين الخامس والسادس الهجريين هي الفترة التاريخية التي عاش

(١) رفع الباس ، ص ٣١٨ .

(٢) " نقابة الهاشميين " : النقيب : شاهد القوم وضمينهم وعريفهم ورأسهم ، لأنه يُفتش أحوالهم ويعرفها ، وهو كالعريف على القوم ، المقدم عليهم ، الذي يتعرف أخبارهم ويُقب عن أحوالهم . وقيل للنقيب : نقيب ، لأنه يعلم دخيلة أمر القوم ويعرف مناقبهم ، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم . (الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ج ٢ ، ص ٤٤٦) . ولمزيد من المعلومات عن مصطلح " النقابة " و " النقيب " في العصر العباسي وفي غيره من العصور ، انظر : (الماوردي : الأحكام السلطانية ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ، ص ٩٦ - ٩٩ ، ابن كنان : حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلطين ، تحقيق : عباس صباغ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ، ص ١٦٤ - ١٦٥ ، مصطفى عبد الكريم الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ص ٤٢٥) .

(٣) ابن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرنؤوط ، وتركي مصطفى ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ج ١٢ ، ص ١٤٣ - ١٤٤ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .

فيها معظم الزنبليين ، واشتهر فيها عدد من أعلامهم ، ومن أوائلهم " أبو الحسن محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان الزنبلي العباسي " ، وهو حفيد " أبي تمام الحسن بن محمد " السابق ذكره . وُلد سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م ، وولي نقابة العباسيين بعد وفاة والده سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م ، وهو في العشرين من عمره ، وكان له بعض الاهتمام بالعلم والرواية ، توفي سنة ٤٢٦هـ / ١٠٣٥م^(١) ، وقيل سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٦م ، ورثاه بعض الشعراء^(٢) .

كان لأبي الحسن محمد بن علي بن الحسن الزنبلي عدد من الأبناء ، ذكر المؤرخون منهم " أبا نصر محمد بن محمد بن علي الزنبلي " ، وُلد في شهر صفر سنة ٣٨٧هـ / ٩٩٧م ، ونشأ منذ حداثة سنّه زاهداً ميّالاً إلى العزلة والانقطاع عن الناس^(٣) . وصّفه " الذهبي " بـ " الشيخ الصالح الزاهد الشريف مسند الوقت "^(٤) ، وأشار إلى أنه كان ذا باع في العلم والرواية ، توفي في شهر جمادى الآخرة سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م^(٥) .

ومنهم " أبو الفوارس طراد بن محمد بن علي الزنبلي " ، وهو من أبرز أعلام " الزنبليين " ، وأوسعهم شهرة ، وُلد في سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م ، ونشأ نشأة علمية ، شأنه في ذلك شأن كثير من أهل بيته . أثنى عليه عدد من المؤرخين ، فوصفوه بالأمانة والفضل والشرف ، وذكروا بأنه كان من جُلّة الناس وكبرائهم ،

(١) السيوطي : رفع الباس ، ص ٣٢٠ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ٤٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١٨ ، ص ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص ٣٢٢ .

(٤) الذهبي : المصدر السابق ، ج ١٨ ، ص ٤٤٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١٨ ، ص ٤٤٤ - ٤٤٥ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص ٣٢٢ .

ثقةً ثبَّتًا ، ساد الدهر رتبةً وعلوًّا وفضلاً ورأياً وشهامةً ، كما ذكر بعضهم أنه كان أعلى العباسيين رتبةً عند الخليفة^(١) . توفي في سنة ٤٩١هـ / ١٠٩٨م^(٢) ، وله من العمر ثلاث وتسعون سنة ، ويُروى أنه لما حضرته الوفاة بكى أهله فقال : " إنما يُبكي على الشاب ، أما من جاوز التسعين فلا معنى للبكاء عليه " ^(٣) ! .

ومن أبناء " أبي الحسن محمد بن علي الزينبي " المبرزين ، الذين أطنب العديد من المؤرخين في الحديث عنهم " أبو طالب الحسين بن محمد بن علي الزينبي العباسي " ، وُلد في سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م ، وتلمذ على عدد من علماء عصره ، ولم يلبث أن صار من أعلام الأسرة العباسية ، وحظي بمكانة عالية عند الخلفاء ، ونبع في عدد من العلوم ، حتَّى صار يُشار إليه بالبنان^(٤) . وقد أشاد به وبعلمه عددٌ من المؤرخين ، فوصفه بعضهم بأنه فقيه

(١) عن مكانة " طراد الزينبي " وثناء المؤرخين عليه ، انظر : (ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٧ ، ص ٤٤ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج١ ، ص ٣١٦ - ٣١٧ ، الذهبي : المصدر السابق ، ج١٩ ، ص ٣٨ ، ٣٩ ، ابن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٦ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٦ ، ص ١٦٥ ، القرشي : الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، دار هجر ، القاهرة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ج٢ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص ٣٠٠) .

(٢) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج١٧ ، ص ٤٤ ، السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ١٩١ ، الذهبي : المصدر السابق ، ج١٩ ، ص ٣٩ .

(٣) سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣١٧ .

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٢ ، ص ٦٦٥ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، حوادث ووفيات (٥٠١ - ٥١٠ هـ ، ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ ، سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص ٣٥٣ - ٣٥٥ ، ابن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٣ ، ص ٢٧ .

بني العباس ، شريف النفس ، وافر العلم ، ذو وجهة كبيرة عند الخلفاء ، كما ذكروا أنه كان مكرماً للغرباء ، وافر العظمة ، إماماً معظماً كبير الشأن ، من فحول النُّظار^(١) . ولم يكن الجانب العلمي هو الأوحد البارز في حياة " أبي طالب الزينبي " ، بل كانت هناك جوانب أخرى مهمّة في حياته أيضاً ، فقد تولّى بعض الأعمال في البلاط العباسي ، وكُلّف ببعض المهامّ من قِبَل الخلفاء^(٢) ، وظلّ يحظى بمكانة مميّزة حتى وفاته في شهر صفر سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م^(٣) .

وفضلاً عن هؤلاء الثلاثة (أبي نصر محمد ، وأبي الفوارس طراد ، وأبي طالب الحسين) ، فقد كان لوالدهم " أبي الحسن محمد بن علي الزينبي " أيضاً أبناء آخرون أقلّ شأنًا ، منهم : " أبو تمام محمد بن محمد بن علي الزينبي " ، وهو أكبر أبنائه ، وقد عاش معظم حياته في النصف الأوّل من القرن الخامس الهجري ، وتوفي سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م^(٤) ، و " أبو يعلى حمزة بن محمد بن علي الزينبي " ، وُلد في سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، وكان - كما يصفه

(١) عن مكانة " أبي طالب الحسين بن محمد الزينبي " ، وثناء المؤرّخين عليه ، انظر : (ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٧ ، ص١٦٦ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث وفيات (٥٠١ - ٥١٠ هـ ، ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ، ص٣٣٢ - ٣٣٣ ، سير أعلام النبلاء ، ج٩ ، ص٣٥٣ - ٣٥٥ ، ابن أبيك الصفدي : المصدر السابق ، ج١٣ ، ص٢٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٦ ، ص٢٣٨ - ٢٣٩ ، السيوطي : رفع الباس ، ص٢٩٥) .

(٢) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج١٧ ، ص١٦٦ ، سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٦٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٩ ، ص٣٥٤ ، ابن أبيك الصفدي : المصدر السابق ، ج١٣ ، ص٢٧ .

(٣) سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٦٥ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص٢٩٥ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث وفيات (٤٤١ - ٤٥٠ هـ) ، ص١٢٠ ، السيوطي : رفع الباس ، ص٣٢٠ .

بعض المؤرخين - رجلاً جليل القدر ، عُمَرَ زمنًا طويلاً ، وعاش حتى أوائل القرن السادس الهجري ، حيث توفي سنة ٥٠٤هـ / ١١١٠م ، وهو في السابعة والتسعين من عمره^(١) .

وكان لأبي الحسن الزنبني أيضاً عدد من الأحفاد المشاهير ، منهم : الوزير " أبو القاسم علي بن طراد بن محمد بن علي الزنبني " ، وُلد في سنة ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م ، وتولّى الوزارة في أيام الخلفيتين " المسترشد بالله " ، و " المقتفي لأمر الله "^(٢) ، وصار له شأن كبير في زمنهما ، وحظيَ بثناء العديد من المؤرخين ، فوصفه " الذهبي " بـ " الوزير الكبير "^(٣) ، كما وُصِفَ بأنه " كان صدرًا مهيباً وقوراً ، دقيق النظر ، حادّ الفراسة ، عارفاً بالأمور العظام ، شجاعاً جريئاً "^(٤) . توفي في مستهلّ شهر رمضان سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٤م^(٥) .

ومن أحفاد " أبي الحسن الزنبني " البارزين " أبو القاسم علي بن الحسين بن محمد بن علي الزنبني " ، وُلد في سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م ، ونشأ نشأة علمية ، وولي القضاء في العراق في زمن الخلفيتين " المسترشد بالله " ، و " المقتفي

(١) الذهبي : المصدر السابق ، حوادث ووفيات (٥٠١ - ٥١٠ هـ) ، ص ٩٠ ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ، ابن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ١٣ ، ص ١١٢ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص ٢٩٦ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٨ ، ص ٣٤ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص ٣١١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ١٤٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢٠ ، ص ١٥١ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢٠ ، ص ١٥١ . وللمزيد من المعلومات عن سيرة الوزير " علي بن طراد الزنبني " وأخباره ، انظر أيضاً : (ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج ١٨ ، ص ٣٤ - ٣٥ ، ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ - ٣١١ ، ابن أبيك الصفدي : المصدر السابق ، ج ٢١ ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٦ ، ص ٣٣٥) .

لأمر الله ^(١) . وكان محلّ تقدير العديد من المؤرّخين ، سواءً ممّن عاصروه أو من الذين عاشوا في العصور اللاحقة ، فقد وصفه " ابن الجوزي " بقوله : " ما رأينا وزيراً ولا صاحب منصب أوقر منه ، ولا أحسن هيئةً وسمّاً وصمّاً ، قلّ أن يُسمع منه كلمة " ^(٢) ، كما وُصف أيضاً بأنّه " غزير الفضل ، وافر العقل ، له وقار وسكون " ^(٣) ، ووصفه " الذهبي " بـ " الصدر الأكمل ، قاضي القضاة " ^(٤) ، كما أثنى عليه " ابن أبيك الصفدي " فذكر أنّه " كان صدرًا مهيبًا ذا ثبات وصيانة ونزاهة وديانة وعفة وغزارة فضل " ^(٥) . توفي في شهر ذي الحجة سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٩م ^(٦) .

ولأبي الحسن الزينبي أيضاً أحفاد عديدون آخرون ، عاش أكثرهم في القرن السادس الهجري ، وأوائل السابع ، ومنهم : " أبو تمام محمد بن الحسين بن محمد بن علي الزينبي " ، وقد عاش الشطر الأخير من حياته في الربع الأول من القرن السادس الهجري ، حيث توفي سنة ٥٢٥هـ / ١١٣١م ، وكان له بعض الاهتمام بالعلم والرواية ^(٧) . و " أبو البركات محمد بن عدنان بن محمد بن محمد بن علي الزينبي " ، وُلد في سنة ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م ، وسمع من بعض علماء

(١) السيوطي : المصدر السابق ، ص ٣١١ .

(٢) المنتظم ، ج ١٨ ، ص ٦٨ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٠٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢٠ ، ص ٢٠٧ .

(٥) الوافي بالوفيات ، ج ٢١ ، ص ٣٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٢١ ، ص ٣٨ .

(٧) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج ١٧ ، ص ٢٦٧ ، السيوطي : رفع الباس ، ص ٣٢٤ .

عصره^(١) ، ولم يُشتر المؤرّخون إلى تاريخ وفاته ، ولعلّه أدرك أوائل القرن السادس الهجري . و " أبو الحسن محمد بن طراد بن محمد بن علي الزنبلي " ، وُلد في سنة ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م ، وتولّى نقابة الهاشميين ببغداد ، وكانت له مكانة ووجاهة ، توفي سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م^(٢) . و " أبو أحمد طلحة بن علي بن محمد ابن محمد بن علي الزنبلي " ، عاش معظم سنّي حياته في النصف الأوّل من القرن السادس ، وتولّى نقابة العباسيين ببغداد ، وتوفي سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٣م^(٣) .

ومنهم أيضاً : " أبو نصر القاسم بن علي بن الحسين بن محمد بن علي الزنبلي " ، وُلد سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٥م ، ولم يُعمّر طويلاً ، بل توفي سنة ٥٦٣هـ / ١١٦٨م ، وله من العمر أربع وثلاثون سنة^(٤) . و " أبو العباس محمد بن علي بن طراد بن محمد بن علي الزنبلي " - ابن الوزير " علي بن طراد " - ويُعرف بلقب " الأمير التركي " ، لأنّ أمّه تركيّة ، وكان من المهتمّين بطلب العلم ، توفي سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م ، وهو لما يزل شاباً^(٥) . و " أبو الحسن محمد بن علي بن الحسين بن محمد بن علي الزنبلي " ، كان - كما وصفه بعض المؤرّخين - رجلاً صالحاً صدوقاً صابراً ، توفي سنة ٥٩٨هـ / ١٢٠١م^(٦) .

ومن أدرك القرن السابع الهجري من أحفاد " أبي الحسن محمد بن علي

(١) ابن أبيك الصفدي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ١٤٠ - ١٤١ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ .

(٣) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج١٨ ، ص ١٥٦ ، ابن أبيك الصفدي : المصدر السابق ، ج١٦ ،

ص ٢٨٠ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٤) السيوطي : رفع الباس ، ص ٣١٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢١ ، ص ٣٥٤ .

الزنبلي " ، " أبو المظفر محمد بن طلحة بن علي بن محمد بن محمد بن علي الزنبلي " ، عاش جُلّ حياته في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، وتولّى نقابة العبّاسيين فترة من الزمن ، وكانت له منزلة ووجاهة في البلاط العبّاسي ، توفي سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م^(١) . وشقيقه " أبو القاسم قُثم بن طلحة بن علي الزنبلي " ، كان صدرًا معظّمًا مثل أخيه ، فاضلاً عارفاً ببعض العلوم ، توفي في شهر رجب سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م ، وله من العمر سبع وخمسون سنة^(٢) . و " أبو تمام محمد بن العباس بن يحيى بن محمد بن الحسين الزنبلي " ، وُلد في سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨م ، وكان رجلاً زاهداً كبير الشأن ، توفي سنة ٦١١هـ / ١٢١٤م^(٣) . و " أبو طالب عبد الله بن المظفر بن علي بن طراد الزنبلي " ، ولد في سنة ٥٥٩هـ / ١١٦٤م ، وتلمذ على عدد من علماء عصره ، وروى عنه آخرون .. ولعلّه كان آخر من اشتهر من " الزنبليين " في أيام الدولة العبّاسية ، توفي في شهر رمضان سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٨م^(٤) .

وهكذا كان العديد من " الزنبليين " أعلاماً في زمانهم ، تَحَدَّثَ عنهم المؤرّخون ، وأفسحوا لهم مواضع في كتب التاريخ والتراجم ، وتناولوا سيرهم

(١) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق : بشّار عوّاد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م ، ج٢ ، ص ٥٥ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص ٣٢٦ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ج٥ ، ص ٧-٨ ، ابن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج٢٤ ، ص ١٥٠ - ١٥١ ،

السيوطي : المصدر السابق ، ص ٣١٦ .

(٣) المنذري : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ - ٦٢٠هـ) ، ص ٨٤ - ٨٥ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص ٣٢٧ .

(٤) المنذري : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٤٨٩ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢٣ ، ص ١٨ - ١٩ .

بالكثير من التقدير والتبجيل ، ولذا صار البيت الزنبلي يُشار إليه بالبنان ، يقول المؤرّخ " المنذري " في أثناء ترجمته لأبي المظفر محمد بن طلحة الزنبلي : " وهو من بيت الشرف والتقدّم والنقابة " ^(١) . ويقول أيضاً في ترجمته لعبد الله بن المظفر الزنبلي : " وهو من بيت رواية وفضل ونقابة ووزارة " ^(٢) .

وأخيراً نلاحظ - من خلال ما ذكرناه في الصفحات السابقة - أنّ اسم " الزنبينيين " قد شاع في فترات متأخرة نسبياً من العصر العباسي ، ولا سيّما في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، مع أنّ جدّتهم التي ينتسبون إليها " زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس " عاشت في فترة مبكرة من تاريخ الدولة العباسية ..

ويمكن القول إنّ ذلك يُعزى - فيما يبدو - إلى أمرين رئيسين ، أحدهما : أنّ الفترات التي سبقت القرنين الخامس والسادس لم يبرز فيها إلاّ أسماء محدودة للغاية من أفراد البيت الزنبلي ، والأمر الثاني : أنّ الأسرة العباسية تزايدت أعداد أبنائها مع مرور الأيام والسنين ، فصار كلّ فرع منها - ومنهم " الزنبليون " - يسعى لأن يتميّز باسم يُعرف به عن غيره من فروع بني العباس الأخرى .

أثر " الزنبينيين " في الحياة السياسية في الدولة العباسية :

لم يكن للزنبينيين قبل القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي - أثر كبير في ميادين الحياة السياسية في الدولة العباسية ، ولم يلعبوا دوراً مؤثراً في البلاط العباسي قبل ذلك التاريخ ، وذلك باستثناء ما ذكرته بعض المصادر التاريخية من تولية عدد يسير منهم على بعض المدن أو الأقاليم ، أو تكليفهم ببعض المهام من

(١) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ، ج٢ ، ص ٥٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٤٨٩ .

جانب الخلفاء ، فقد أشار المؤرخ " خليفة بن خياط " ^(١) إلى أنّ " عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي العباسي " - وهو أول من عُرف من " الزنبين " - وُلّي على " مكة " في عهد الخليفة " هارون الرشيد " ، كما ذكرت مصادر أخرى أنّه وُلّي على مصر فترة قصيرة في أيام " الرشيد أيضاً ، وذلك بين عامي (١٨٩ - ١٩٠ هـ / ٨٠٥ - ٨٠٦ م) ^(٢) .

وفي حوادث سنة ٢٥٣ هـ يرد ذكر " عبد الله بن محمد بن سليمان الزنبني " عند شريحة من كبار المؤرخين ، كالطبري ^(٣) ، وابن الأثير ^(٤) ، وابن كثير ^(٥) ، حيث يذكر هؤلاء المؤرخون أنّه حجّ بالناس في تلك السنة . وينفرد " ابن حزم " ^(٦) بقوله إنّ " عبد الله " هذا وُلّي على " البصرة " في أيام الخليفة العباسي " المعتز بالله " الذي تولّى الخلافة بين عامي (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ / ٨٦٦ - ٨٦٩ م) ، وفي أثناء ولايته حدثت فتنة الزنج ^(٧) في البصرة .

وفي القرنين الخامس والسادس الهجريين كان لبعض أعلام الزنبين أثر أكثر

(١) تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، دار القلم ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ص ٤٦١ .

(٢) الكندي : ولاية مصر ، تحقيق : حسين نصار ، دار صادر ، بيروت ، ص ١٦٨ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ص ٣٧٧ .

(٤) الكامل ، ج ٧ ، ص ١٨٣ .

(٥) البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٤٩٥ .

(٦) جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٢ .

(٧) عن فتنة " الزنج " وموقف العباسيين منها ، انظر : (الطبري : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٤١٠ وما بعدها ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٠٥ وما بعدها) .

أهميّة في الحياة السياسية في الدولة العباسية ، ففي القرن الخامس الهجري يبرز اسم " طراد بن محمد بن علي الزنبيني " في عدد من المواقف والحوادث التاريخية المرتبطة بالخلافة العباسية .. كان " طراد " يحظى بمكانة عالية في البلاط العباسي ، وكانت له مكانة مميّزة عند الخلفاء ، ففي سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م قُلِدَ نقابة النقباء في الدولة العباسية ، ولُقِّبَ " الكامل ذا الشرفين " ^(١) . وكان الخلفاء العباسيون يعهدون إليه ببعض المهامّ الجليلة التي تدلّ على ثقتهم الكبيرة به ، ومن ذلك ما ذكرته بعض المصادر التاريخية من أنّ الخليفة " القائم بأمر الله " بعثه في سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م إلى السلطان السلجوقي " ألب أرسلان " ^(٢) في إقليم " أذربيجان " ليأخذ البيعة له منه ، فسار " طراد " إليه ، والتقى به ، فبايعه للخليفة ^(٣) . وفي سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م وجّهه الخليفة " القائم " رسولا إلى صاحب " حلب " " محمود بن صالح بن مرداس " ^(٤) ليُقَدِّم له الشكر والتقدير على

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٨ .

(٢) هو السلطان " ألب أرسلان بن جفري بك بن ميكائيل بن سلجوق " ، من كبار سلاطين السلاجقة ، تولى الحكم في الدولة السلجوقية بعد وفاة عمّه " طغرل بك " سنة ٤٥٥هـ ، واستمرّ في حكمها حتّى وفاته في سنة ٤٦٥هـ . انظر أخباره في : (البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ٣٠ - ٤٩ ، ابن النّظام البزدي : العراضة في الحكاية السلجوقية ، ترجمه من الفارسية إلى العربية : عبد النعيم محمد حسنين ، وحسين أمين ، بغداد ، ١٩٧٩م ، ص ٤٥ - ٥٤ ، ومن المراجع الحديثة انظر أيضاً : عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ترجمه من الفارسية إلى العربية : محمد علاء الدين منصور ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص ٢٤١ - ٢٤٨ ، عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، ص ٤٦ - ٦٠) .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٣٥ .

(٤) هو " محمود بن صالح بن مرداس الكلابي " ، من حكامّ دويلة " بني مرداس " في حلب ، ذكرته بعض المصادر باسم " محمود بن نصر بن صالح بن مرداس " ، أي أن " صالح بن مرداس " اسم جدّه وليس اسم أبيه ، وصفه بعض المؤرّخين بأنّه كان " شجاعاً مهيباً جواداً " ، توفي سنة ٤٦٧هـ . انظر ترجمته في :

إقامة الخطبة له وللسلطان " ألب أرسلان " في بلاده^(١) .
كما بعثه الخليفة " القائم " في سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م رسولاً إلى " شرف الدولة
مُسلم بن قريش "^(٢) - حاكم الدولة " العُقيلية " في الموصل - ليسعى لإصلاح ذات
البين بينه وبين السلطان السلجوقي " ألب أرسلان " ، وكان الأخير ساخطاً على
" مُسلم بن قريش " حينذاك ، وقد سار " طراد الزنبي " إلى " مُسلم " في
الموصل ، والتقى به ، ثم اصطحبه معه إلى السلطان " ألب أرسلان " ، وفي
الطريق جاءتهما الأنباء بوفاته ، فتوجّها إلى ابنه " ملكشاه "^(٣) ، الذي تولّى
الحكم في الدولة السلجوقية بعده^(٤) . وقد جرت لطراد الزنبي في أثناء وجوده في

(الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٨ ، ص ٣٥٨ - ٣٥٩ ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق : محمد
السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ ،
ابن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٢٥ ، ص ١٠٥ - ١٠٦) .

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٦٣ .

(٢) هو " شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران " ، من حكام الدولة العُقيلية في الموصل ، تولّى الحكم في
سنة ٤٥٣هـ ، واتسع نفوذه فشمّل ديار ربيعة ومُضر وبعض المناطق من بلاد الشام ، توفي سنة ٤٧٨هـ .
انظر ترجمته في : (الذهبي : العبر ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ ، ابن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ،
ج ٢٥ ، ص ٣٢٢ - ٣٢٥ ، ومن المراجع الحديثة انظر عنه أيضاً : سعيد الديوه جي : تاريخ الموصل ،
بغداد ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ١٦٧ - ١٦٩) .

(٣) هو السلطان " ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي " ، من أبرز سلاطين الدولة السلجوقية وأوسعهم
شهرة ، تولّى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ٤٦٥هـ ، وكان له أثر كبير في الميدان الحضاري في بلاده ، توفي
سنة ٤٨٥هـ . انظر أخباره في : (البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٥٠ وما بعدها ، ابن النظام
اليزدي : العراضة في الحكاية السلجوقية ، ص ٥٥ - ٦٩ ، ومن المراجع الحديثة انظر أيضاً : عباس
إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ٢٤٩ - ٢٥٣ ، ٢٦١ - ٢٦٣ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقة
إيران والعراق ، ص ٦١ - ٦٨ ، ٧٧) .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٧٩ .

معسكر السلطان " ملكشاه " بعض المتاعب ، فقد حدث حينذاك قتال بين " ملكشاه " وبعض خصومه على مقربة من مدينة " هَمَذَان " ^(١) ، وفي خِصْم ذلك القتال تعرّض " طراد " للنهب من قِبَل بعض الجند ^(٢) .

وفي سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م وجّه الخليفة " المقتدي بأمر الله " " طراداً الزنبي " رسولاً إلى " شرف الدولة مسلم بن قريش " ، فلقية بالموصل ، وكان " شرف الدولة " قد عاد إلى بلده بعد أن خاض حرباً غير موفّقة مع جيوش السلاجقة ، ثمّ اصططح مع السلطان " ملكشاه " ^(٣) . ولم تُشر المصادر التاريخية إلى المهمة التي بُعث " الزنبي " من أجلها في هذه المرّة ، إلّا أنّه يُفهم من سير الأحداث أنّ الخليفة أوفده لإقرار " شرف الدولة " على " الموصل " من جديد بعد عودته إليها ^(٤) .

وفضلاً عن تلك المهامّ التي كُلف بها " طراد الزنبي " ، فقد تولّى في بعض الفترات الوزارة بالإنابة في الدولة العباسية ، ومن ذلك ما جرى في سنة ٤٨١هـ / ١٠٨٨م ، حينما حجّ الوزير العباسي " أبو شجاع الروذراوري " ^(٥) ، حيث أناب

(١) " هَمَذَان " : مدينة مشهورة في " بلاد الجبل " في المشرق ، وصفها " ياقوت " بأنها " من أحسن البلاد وأنزهها وأطيبها " . (معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤١٠ - ٤١٢) .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٧٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١٠ ، ص ١٣٦ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٥) هو " أبو شجاع محمد بن الحسين الروذراوري " ، تولّى الوزارة في الدولة العباسية في عهد الخليفة " المقتدي بأمر الله " سنة ٤٧٦هـ ، واستمرّ فيها حتى سنة ٤٨٤هـ ، وكان مشهوراً بالعدل وحسن التعامل مع الناس ، توفي سنة ٤٨٨هـ . انظر ترجمته في : (ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ج ٥ ، ص ١٣٤ - ١٣٧ ، ابن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٣ ، ص ٥) .

عنه في وزارته ابنه " ربيب الدولة أبا منصور " ^(١) ونقيب النقباء " طراداً الزنبلي " ^(٢) .

ومثلما كان " طراد الزنبلي " موضع ثقة عند الخلفاء العباسيين ، فقد كان أخوه " أبو طالب الحسين بن محمد بن علي الزنبلي " أيضاً يحظى بمنزلة مهمة وثقة عالية عند الخلفاء ، ويتمتع بوجاهة كبيرة في البلاط العباسي ، ولذا كان الخلفاء يُؤكلون إليه بعض الأمور المهمة ، ومن ذلك ما ذكرته بعض الروايات من أنّه وُجّه في بعض الفترات رسولاً إلى " ملوك الأطراف " ^(٣) . ولم تُفصح هذه الروايات عن أسماء الخلفاء الذين كانوا يبعثونه رسولاً من جانبهم ، كما لم تكشف النقاب عن شخصيات " ملوك الأطراف " الذين وُجّه إليهم . إلاّ أنّه يُستنتج من هذه الروايات أنّ " أبا طالب الزنبلي " قد أوفد من قبل الخلفاء لأمر تتعلق ببعض التطورات السياسية التي كانت تحدث في أيامه ، وبالعلاقات التي كانت سائدة بين الدولة العباسية وبعض القوى المعاصرة لها .

ولعلّ أبرز مَنْ كان له أثر في الحياة السياسية في الدولة العباسية من الزنبليين هو " علي بن طراد الزنبلي " ، الذي تولّى الوزارة في أيام الخليفين " المسترشد بالله "

(١) هو " ربيب الدولة أبو منصور بن محمد بن الحسين الروذراوري " ، تولّى الوزارة في الدولة العباسية في عهد الخليفة " المستظهر بالله " سنة ٥٠٧هـ ، كما ولّاه السلطان السلجوقي " محمود بن محمد بن ملكشاه " الوزارة في أيامه ، وذلك في حدود سنة ٥١٢هـ ، توفي سنة ٥١٣هـ . انظر أخباره في : (ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٠ ، ص ٤٩٨ ، ٥٣٣ ، ٥٦٠) .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٠ ، ص ١٦٨ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٧ ، ص ١٦٦ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٢ ، ص ٦٦٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص ٣٥٤ ، ابن أبيك الصفدي : المصدر السابق ، ج١٣ ، ص ٢٧ .

و "المقتضي لأمر الله" .. كان "علي بن طراد" ذا مكانة عالية عند الخلفاء العباسيين قبل أن يتولّى الوزارة ، وكانوا يُؤكّلون إليه بعض المهامّ الجليلة ، ومن ذلك ما ذكرته بعض المصادر التاريخية من أنّ الخليفة "المستظهر بالله" وجهه في سنة ٥٠١هـ / ١١٠٧م رسوياً إلى "صدقة بن منصور الأسدي"^(١) . صاحب "الحلّة"^(٢) . يحدّثه من مناصرة السلطان السلجوقي "محمد بن ملكشاه"^(٣) ، وكان "صدقة" قد عزم على محاربته في تلك السنة^(٤) .

وحينما بويغ "المسترشد بالله" بالخلافة سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م بعث "علي بن طراد الزنبيني" إلى "دُبيس بن صدقة"^(٥) ليأخذ منه البيعة ، فلمّا قدم "علي بن

(١) هو "صدقة بن منصور بن دُبيس الأسدي" ، مؤسّس بلدة "الحلّة" بالعراق وحاكمها ، وصفه "ابن الأثير" بأنّه كان "جواذاً حليماً صدوقاً كثير البرّ والإحسان" . دخل في قتال مع السلاجقة ، فقتل في سنة ٥٠١هـ . انظر أخباره وترجمته في : (الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٤٤٠ - ٤٤٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص ٤٩٠ - ٤٩١ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥) .

(٢) "الحلّة" : مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد . (ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٢٩٤) .

(٣) هو "محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان" ، من سلاطين الدولة السلجوقية ، دخل في حروب مع بعض أخوته في مستهلّ العقد الأخير من القرن الخامس الهجري ، وصار كلّ منهم يحكم جزءاً من المناطق الخاضعة لنفوذ السلاجقة ، ثم اتّسع نفوذه ليشمل معظم أراضي الدولة السلجوقية ، وظلّ كذلك حتّى وفاته في سنة ٥١١هـ . انظر أخباره في : (البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٨٦ وما بعدها ، ابن النّظام اليزدي : العراضة في الحكاية السلجوقية ، ص ٨٢ - ٩٤ ، ومن المراجع الحديثة انظر أيضاً : عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ٢٧١ - ٢٧٥ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص ٩١ - ٩٩) .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٠ ، ص ٤٤١ .

(٥) هو "دُبيس بن صدقة بن منصور الأسدي" ، من حكام "الحلّة" في العراق ، اتّسع نفوذه في أيام الخليفة "المسترشد بالله" ، حيث استولى على كثير من بلاد العراق ، ومات في سنة ٥٢٩هـ . انظر ترجمته في :

طراد " إلى "دُبيس" في "الحلّة" ، وأبلغه بطلب الخليفة ، أجابه بالسمع والطاعة ، وبايعه للمسترشد بالله^(١) . وكان " أبو الحسن بن المستظهر بالله " - أخو الخليفة " المسترشد " - قد سار إلى "دُبيس بن صدقة" مبدئاً الخلاف لأخيه ، فسعى " علي بن طراد " لإصلاح ذات بينهما ، وقام خلال وجوده في "الحلّة" بإقناع " أبي الحسن " بالعودة إلى " بغداد " والرجوع عن الخلاف ، فأجابه إلى ذلك بعد أن ضمن له الأمان عند الخليفة^(٢) .

وفي سنة ٥٢٣هـ / ١١٢٩م ولّى " المسترشد بالله " " علي بن طراد " الوزارة ، وقال له - مشيداً به - : " كلّ مَنْ رُدّت إليه الوزارة شَرُفَ بها إلّا أنت فإنّ الوزارة شَرُفَتْ بك " ، و " حُمِلَ إليه الدّست"^(٣) الكامل من دار الخليفة ، وتقدّم [أي الخليفة] إلى أرباب المناصب بالسعي بين يديه إلى الديوان "^(٤) ، ومنَحَ ألقاباً كثيرة ، كلّ لقبٍ منها يبدو كافياً لرفع شأنه وتعظيم قدره ، مثل " مُعزّ الإسلام ، عضد الإمام ، سيّد الوزراء ، صدر الشرق والغرب "^(٥) ! . ووفقاً لما يذكره " ابن

(ابن خلكان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٦٣ - ٢٦٥ ، ابن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٣ ، ص ٣٢١ - ٣٢٢) .

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٢ ، ص ٦٥٣ ، ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية ، ص ٣٠٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ، ص ٥٣٧ .

(٣) " الدّست " : كلمة فارسية ، معناها : المحلّ المخصّص للسيد الكبير في صدر المجلس ، استُخدمت عند العرب للتعبير عن مقرّ السلطان ونحوه . (مصطفى عبد الكريم الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، ص ١٨١) .

(٤) ابن الطقطقي : الفخري ، ص ٣٠٥ .

(٥) ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق : قاسم السامرائي ، دار العلوم ، الرياض ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٢١٦ .

الأثير^(١) "فقد عُيِّنَ علي بن طراد الزنبلي " في البداية في منصب " نائب وزير " ، وذلك بُعيد وفاة الوزير العباسي " جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة " ^(٢) في أواسط سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٨م ، ثمَّ عُيِّنَ وزيراً في آخر شهر ربيع الآخر سنة ٥٢٣هـ / ١١٢٩م ، ولم يتولَّ الوزارة في الدولة العباسية هاشميٍّ غيره .

وفي سنة ٥٢٦هـ / ١١٣٢م تغيَّر موقف الخليفة " المسترشد بالله " من الوزير " علي بن طراد الزنبلي " ، حيث عزله عن الوزارة ، وأودعه السجن ، وظلَّ في سجنه أربعة أشهر ، ثمَّ أفرج عنه ^(٣) . ولم يُفصح المؤرِّخون عن الأسباب التي أدَّت إلى عزله وسجنه ، ولذا يبدو ما جرى له أمراً غريباً ، سيِّماً وأنَّ العلاقة بينه وبين الخليفة كانت ودِّيَّة إلى حدِّ كبير ، وكان " المسترشد " يُشيد به ويُظهر التقدير له ، كما ذكرنا آنفاً .. على أنَّ الخليفة مالبث أن رضي عنه ، وأعادته إلى الوزارة سنة ٥٢٨هـ / ١١٣٣م ، وزاد في تكريمه وتقديره ^(٤) .

وفي العام التالي (٥٢٩هـ) سار الخليفة " المسترشد " لقتال السلطان السلجوقي " مسعود بن محمد بن ملكشاه " ^(٥) في بلاد الجبل في منطقة المشرق ،

(١) الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦٥٣ .

(٢) هو " جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة النصيبي " ، من وزراء الدولة العباسية في أيام الخليفة " المسترشد بالله " ، تولَّى الوزارة ثلاثة أعوام ثمَّ عُرِّل عنها ، وذلك في سنة ٥١٦هـ ، ومن ثمَّ أُعيد إليها بعد سنة ، واستمر وزيراً حتى وفاته في سنة ٥٢٢هـ . انظر ترجمته في : (الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ٥٥٢ - ٥٥٣ ، ابن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ١٢ ، ص ٩١) .

(٣) الذهبي : المصدر السابق ، ج ٢٠ ، ص ١٥٠ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٧ ، ص ٢٨٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ١٥٠ .

(٥) هو السلطان " مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي " ، من سلاطين الدولة السلجوقية في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، دخل في حروب واسعة مع بعض أخوته وآل بيته ، كما اشتبك في حروب أخرى مع العباسيين ، توفي في سنة ٥٤٧هـ . انظر أخباره في : (البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٦١ وما بعدها ، ابن النِّظام اليزدي : العراضة في الحكاية

وبصحبته الوزير "علي بن طراد" ، فانهمزم الخليفة في ذلك القتال ، ووقع أسيراً في يد الجيش السلجوقي ، ووقع معه في الأسر عددٌ من كبار رجاله وحاشيته ، كان من بينهم وزيره "علي بن طراد الزنبلي" ^(١) .

ولم يلبث الخليفة "المسترشد بالله" أن استشهد على يد جَمْع من "الباطنية" ، في نفس العام الذي هُزم فيه (٥٢٩هـ) ، أمّا الوزير "علي بن طراد" فقد ظلّ في الأسر حتّى السنة التالية (٥٣٠هـ) ^(٢) ، ولكنه لم يكن - حسب ما تذكره بعض الروايات التاريخية - يُعامل معاملة الأسير ، بل كان يحظى بالتقدير والاحترام من جانب السلطان السلجوقي "مسعود" ^(٣) .

وفي السنة ذاتها (٥٣٠هـ) سار السلطان "مسعود" نحو بغداد ، وذلك بعد أن ساءت العلاقة بينه وبين الخليفة "الراشد بالله بن المسترشد" - الذي تولّى الخلافة بعد مصرع أبيه - وكان الوزير "علي بن طراد الزنبلي" بصحبة السلطان ، فلما بلغ بغداد خرج منها الخليفة "الراشد" واتّجه إلى مدينة الموصل ، فدخلها السلطان والوزير ومَن معهما ، ثمّ أعلن عن إقصاء "الراشد" عن الخلافة . ووفقاً لما تذكره المصادر التاريخية فقد كان الوزير "علي بن طراد" في مقدّمة المؤيدين لإقصائه ^(٤) ، ليس هذا فحسب ، بل إنّ المؤرّخ "ابن العمراني" ^(٥) يذكر أنّ السلطان السلجوقي "مسعوداً" استشار بعد دخوله بغداد الوزير "الزنبلي" في

السلجوقية ، ص ١١٧ - ١٢٧ ، ومن المراجع الحديثة انظر أيضاً : عباس إقبال : تاريخ إيران بعد

الإسلام ، ص ٢٩٧ - ٢٩٩ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص ١١٩ - ١٢٦) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٤ - ٢٦ ، النوري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : أحمد

كمال زكي ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ج ٢٣ ، ص ٢٧٢ - ٢٧٥ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٢٧ ، ٤٢ .

(٣) ابن الطقطقي : الفخري ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٢ ، ابن الطقطقي : الفخري ، ص ٣٠٦ ، ٣٠٨ .

(٥) الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ص ٢٢٢ .

أن يقصد الخليفة " الراشد " بنفسه ويترضاه ويُعيده إلى حاضرة الخلافة ، ولكنّ الوزير هوّن أمره عليه ، ووعدّه أن يكفيه ذلك ، وجمع القضاة والفقهاء والزمهم أن يشهدوا على " الراشد بالله " بشرّب النبذ - ليكون ذلك سبيلاً إلى إقصائه عن الخلافة - مع أنّ أحداً منهم لم يره - كما يقول " ابن العمراني " - يشرب الماء ! .

ولم يذكر المؤرخون سبباً واضحاً لموقف الوزير " الزبيني " هذا من الخليفة " الراشد بالله " ، مع أنّه كان يحظى بمنزلة عالية عند أيّه الخليفة " المسترشد بالله " . وإذا صحّت هذه الرواية فإنّ موقفه ذلك يبدو غريباً ومستهجناً إلى حدّ بعيد ، لأنّه لا ينسجم مع ما اتّفقت عليه الروايات التاريخية من أنّه كان على جانب من الفضل والحكمة وبُعد النظر ، وكان يتمتّع بالكثير من الصفات الحميدة .

وكان للوزير " الزبيني " أثرٌ آخر أكثر أهميّة في تلك التطوّرات السياسية التي شهدتها الدولة العباسية حينذاك ، فقد عُهد إليه ترشيح خليفة عباسي جديد بُعيد إقصاء الخليفة " الراشد " ، فأشار باختيار " محمد بن المستظهر بالله " ، فوافق السلطان " مسعود السلجوقي " ومَن حوله من كبار الرجال في البلاط العباسي على ذلك ، وبُويع له بالخلافة ، ولُقّب بـ " المقتفي لأمر الله " (١) ، وكان ذلك سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥ م .

اختار الخليفة " المقتفي " في مستهلّ عهده " عليّ بن طراد الزبيني " وزيراً له ، واستمرّ " الزبيني " في وزارته قرابة أربعة أعوام ، وذلك حتّى سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩ م ، ثمّ ساءت العلاقة بين الرجلين ، وحدثت بينهما فجوة كبيرة ، فخاف الوزير من الخليفة ، وذهب إلى دار السلطان " مسعود السلجوقي " في بغداد

(١) ابن الطقطقي : المصدر السابق ، ص ٣٠٨ .

مستجيراً ، ودخلها واحتمى بها أياماً عدة^(١) .

ويذكر " ابن الأثير "^(٢) أن سبب تدهور العلاقة بين الخليفة " المقتفي " والوزير " الزنبلي " يعود إلى ما كان يقوم به الوزير من اعتراض على الخليفة في كل ما يأمر به ، مما جعله يضيق ذرعاً بذلك . ويبدو أن الوزير " الزنبلي " ظل يشعر بفضله على " المقتفي " لكونه أشار باختياره خليفة للدولة العباسية ، فأباح لنفسه أن يتدخل في قراراته حتى بلغ الأمر حدّ اعتراضه على ما كان يأمر به .

ومهما يكن من أمر ، فقد أرسل الخليفة " المقتفي " رسولاً إلى الوزير " الزنبلي " يطلب إليه العودة إلى منصبه ، ولكنّ الوزير امتنع من الرجوع ، وظلّ مقيماً في دار السلطان " مسعود السلجوقي " ، فبعث الخليفة إلى السلطان يستشيريه في أمره ، فأذن في عزله عن الوزارة ، فعزله الخليفة^(٣) ، ثمّ طلب السلطان " مسعود " إلى " المقتفي " أن يأذن له - بدّوره - في العودة إلى داره ، فأذن له^(٤) .

ووفقاً لما تذكره بعض الروايات فقد تدهورت أحوال الوزير " علي بن طراد الزنبلي " بعد عزله ، واضمحَلَّ شأنه إلى حدّ بعيد ، وعاش السنوات الأخيرة من حياته في ضائقة شديدة وحالٍ يُرثى لها ، حتّى إنّه مرض ذات يوم فاشتفى نوعاً من الطعام لم يكن في بيته فلم يقدر على ثمنه ! ، وكان قد أنفق جُلّ ماله لما كان مُستجيراً بدار السلطان " مسعود السلجوقي " ، وحينما مرض مرضه الأخير الذي

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٣ ، ٧٦ ، ابن الطقطقي : الفخري ، ص ٣١٠ ، النوري :

نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٢٨٣ ، ٢٨٥ .

(٢) الكامل ، ج ١١ ، ص ٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ٧٦ ، النوري : المصدر السابق ، ج ٢٣ ، ص ٢٨٥ .

(٤) ابن الطقطقي : المصدر السابق ، ص ٣١٠ .

توفي فيه بعث إليه الخليفة "المقتفي" يعده بإصلاح أحواله ، فالتمس منه - فقط - أن يُحسن إلى أبنائه وأهل بيته من بعده ، فلمّا توفي حرص "المقتفي" على رعايتهم ، وأجرى لهم ما يحتاجونه من الرزق والعطاء^(١) .

ومن أعلام الزنبليّين الذين كان لهم أثر في الحياة السياسية في الدولة العباسية "أبو القاسم علي بن الحسين بن محمد بن علي الزنبلي" ، المتوفّى سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٩م ، فقد ذكرت بعض الروايات أنه خدم الخليفة "الراشد بالله"^(٢) ، ولكن هذه الروايات لم تكشف عن طبيعة الدور الذي أنيط به في تلك الفترة . ويُفهم من سير الأحداث أنّ العلاقة بينه وبين الخليفة "الراشد" لم تكن ودّية دائماً ، فحينما أقصى هذا الأخير عن الخلافة سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م ، وسار من بغداد إلى الموصل ، كان "أبو القاسم الزنبلي" حينها هو الآخر في مدينة الموصل ، فطلب إليه "عماد الدين زنكي بن آقسنقر"^(٣) - حاكم الموصل - أن يُبطل عزله وأن يقول بصحّة خلافته ، ولكنه امتنع من ذلك ، فسجنه "عماد الدين زنكي" ، وتعرّض في سجنه لبعض التعذيب ، ثمّ أخلى سبيله بعد مدّة يسيرة ، فعاد إلى بغداد^(٤) .

وحينما ترك ابن عمّه الوزير "علي بن طراد الزنبلي" منصبه ، بسبب تدهور

(١) المصدر نفسه ، ص ٣١٠ - ٣١١ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٨ ، ص ٦٨ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٢٠٨ .

(٣) هو "عماد الدين زنكي بن آقسنقر بن عبد الله" ، من أعلام النصف الأول من القرن السادس الهجري ، حكم "الموصل" منذ سنة ٥٢١هـ ، واتّسع نفوذه فيما جاورها من البلاد ، وشمل بعض المناطق من بلاد الشام ، وكان شجاعاً مهيباً ، توفي في سنة ٥٤١هـ . انظر أخباره وترجمته في : (ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ، تحقيق : عبد القادر أحمد طليمات ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص ٣٢ وما بعدها ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ - ٣٢٩) .

(٤) الذهبي : المصدر السابق ، ج ٢٠ ، ص ٢٠٧ .

العلاقة بينه وبين الخليفة "المقتفي لأمر الله" سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م ، عينه "المقتفي" وزيراً له بالإنابة ، بيد أنه لم ينل حظوة تذكر عنده ، إذ ما لبث أن أعرض عنه^(١) ، ولم يستمر في منصبه إلا فترة يسيرة ، حيث ولى الخليفة في ديوانه وزيراً جديداً .

لم يكن أثر "الزنبين" في الحياة السياسية في الدولة العباسية مقتصرًا على المشاهير منهم فحسب ، بل إن بعض المغمورين منهم عملوا في البلاط العباسي أيضاً ، وخدموا بعض الخلفاء ، ومنهم "أحمد بن هبة الله بن محمد بن علي الزنبيني" ، الذي عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والثلث الأول من القرن السادس ، فقد أشارت بعض الروايات إلى أنه أوفد من قبل الخليفة إلى مدينة البصرة في أخريات أيامه ، وذلك لأداء بعض الأعمال التي كلفه بها ، وقد توفي في أثناء وجوده بالبصرة سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨م^(٢) .

ولم تُفصح الروايات التاريخية عن طبيعة الأعمال التي أوفده الخليفة من أجلها ، بل اكتفت بالقول إنه كان بالبصرة "في شغل للخليفة"^(٣) ، كما لم تكشف النقاب عن شخصية الخليفة الذي أرسله ، وحيث إن "أحمد بن هبة الله الزنبيني" توفي في أثناء إيفاده سنة ٥٣٣هـ ، فهذا يعني أن الذي بعثه هو الخليفة العباسي "المقتفي لأمر الله" ، الذي تولى الخلافة بين عامي (٥٣٠ - ٥٥٥هـ / ١١٣٥ - ١١٦٠م) .

ومَن كان له أثرٌ في الحياة السياسية من الزنبين الذين لم يحظوا بشهرة واسعة

(١) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج ١٨ ، ص ٦٨ ، الذهبي : المصدر السابق ، ج ٢٠ ، ص ٢٠٨ .

(٢) السيوطي : رفع الباس ، ص ٢٨٨ .

(٣) السيوطي : رفع الباس ، ص ٢٨٨ .

" أبو المظفر محمد بن طلحة بن علي بن محمد الزنبلي " ، المتوفى سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م ، فقد عمل حاجباً^(١) في ديوان الخلافة العباسية^(٢) . غير أن المصادر التاريخية لم تُحدّد الفترة التي عُيّن فيها ، ولا في عهد من من الخلفاء العباسيين كان ذلك ، ومن المرجّح أنّه تولّى الحجابة في أيام الخليفة " الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله " الذي حكم فيما بين عاميّ (٥٧٥ - ٦٢٢هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥م) .

كما وُلّي أخوه " أبو القاسم قُثم بن طلحة الزنبلي " حجابة " باب النوبي "^(٣) ، في شهر ذي القعدة سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م ، في عهد الخليفة " الناصر لدين الله " ، ولكّنه عُزل عنها بعد أقلّ من عام ، وذلك في رمضان سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٥م ، وكان سبب عزله أنّ فتنةً حدثت في بغداد بين أهل " باب الأَرَج "^(٤) و " المأمونية "^(٥) فسار ليُصلح ذات بينهم ويُسكّن الفتنة ، ولكّنه أخفق في ذلك ، ولم يتعامل مع الموقف بطريقة حكيمة ، بل وقف في صفّ أحد

(١) " الحاجب " : اسم فاعل من " الحجب " ، وهو المنع من الدخول ، وهو اسم وظيفة يُطلق على من يقف بباب الخليفة أو السلطان ، يُبلغه أخبار الرعية ويأخذ لهم الإذن منه . (حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص ٢٥١) .

(٢) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ، ج ٢ ، ص ٥٥ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص ٣٢٦ .

(٣) " باب النوبي " : موضع ببغداد ، أشار إليه " ياقوت " - عند تعريفه ببناء واسع يُسمّى " دار الريحانيين " ، مشرف على سوق الريحان في بغداد - حيث ذكر أنّ آخره ينتهي إلى الباب المعروف بـ " دركاه خاتون " قرب " باب النوبي " . (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٢٠) . ولم أقف في المصادر على تحديد دقيق لهذا الموضع .

(٤) " باب الأَرَج " : محلة كبيرة في شرقي بغداد . (ياقوت : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٨) .

(٥) " المأمونية " : محلة كبيرة ببغداد ، بين نهر " الملعى " و " باب الأَرَج " ، سُمّيت بذلك نسبة للخليفة " المأمون " . (ياقوت : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٤) .

الطرفين وهاجم الطرف الآخر ، فعيب عليه ذلك وعُزل عن الحجابة^(١) .
كان للزنبليين أثر آخر في البلاط العباسي ، تَمَثَّلَ في تولّي عدد منهم نقابة العباسيين في فترات مختلفة - والتي يُطلق عليها بعض المؤرخين أيضاً مصطلح " نقابة الهاشميين " - ومن أبرزهم " أبو الحسن محمد بن علي بن الحسن الزنبلي " ، وقد تولّى النقابة وهو لما يزل شاباً ، حيث كان في العشرين من عمره ، ثمّ تولّاها من بعده ابنه " أبو تمام محمد بن محمد بن علي الزنبلي " ، ثمّ ابنه الآخر " أبو طالب الحسين بن محمد الزنبلي " ، وقد تولّى النقابة بضعة أشهر فقط ، وذلك في مستهلّ سنة ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م ، ثمّ طلب إعفاءه منها ، فتولّاها بعده أخوه " طراد الزنبلي " ، ثمّ " علي بن طراد " ، وذلك قبل تولّيه الوزارة ، في عهد الخليفة " المسترشد بالله " ، فلمّا عُيِّنَ وزيراً قلّد النقابة أخاه " محمد بن طراد " ^(٢) .

ومَن تولّى نقابة العباسيين من الزنبليين أيضاً : " أبو أحمد طلحة بن علي بن محمد الزنبلي " ، وذلك في سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م ، في أيام الخليفة " المقتفي لأمر الله " ، واستمر في النقابة في عهد " المقتفي " وفي السنوات الأولى من عهد الخليفة " المستنجد بالله " ^(٣) ، الذي تولّى الخلافة سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م .. وابنه " أبو المظفر محمد بن طلحة الزنبلي " - الذي عمل حاجباً في البلاط العباسي - ^(٤) .

(١) ياقوت : معجم الأدباء ، ج٥ ، ص٧ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص٣٥٤ ، ج٢٠ ، ص١٥٠ ، السيوطي : رفع الباس ، ص٣٢٠ .

(٣) ابن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٦ ، ص٢٨٠ .

(٤) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ، ج٢ ، ص٥٥ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص٣٢٦ .

وابنه الآخر " أبو القاسم قثم بن طلحة الزنبلي " ، وقد تولّاها مرتّين ، أولاهما في عهد الخليفة " المستضيء بأمر الله " سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م ، ثمّ عُزل في ذي الحجة سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م ، والثانية في شهر صفر سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، في أيام الخليفة " الناصر لدين الله " ، وعُزل في السابع عشر من ذي الحجة سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٤م^(١) .

وبالرغم من أنّ " نقابة العباسيين " لم تكن منصباً مؤثراً بشكل مباشر في الحياة السياسية في الدولة العباسية ، وإنّما كانت منصباً شرفياً أو فخرياً إلى حد كبير ، إلّا أنّ الذين تولّوها من الزنبليين في العصر العباسي كانوا يحظون باحترام كبير سواء بين أفراد البيت العباسي أو بين معاصريهم من عامة الناس ، ومن ثمّ كان لذلك أثره في بعض جوانب الحياة السياسية في الدولة العباسية .

أثر " الزنبليين " في الحياة العلمية في الدولة العباسية :

أسهم الكثير من الزنبليين في إثراء الحياة العلمية في الدولة العباسية ، وبُغ العديد منهم في ميادين العلوم المختلفة ، وبخاصّة في الفترة الممتدة من أوائل القرن الخامس الهجري وحتى أوائل القرن السابع ، وهي الفترة التي عاش فيها معظم أعلام الأسرة الزنبية .

ومن مشاهير " الزنبليين " الذين كان لهم أثر في الحياة العلمية " طراد بن محمد ابن علي الزنبلي " ، فقد أشارت بعض الروايات إلى أنّه كان حريصاً على طلب العلم منذ نشأته ، وأنه تتلمذ على العديد من علماء عصره ، وصار بعد فترة من الزمن ممّن يُشار إليهم بالبنان ، وروى عنه الكثير من طلاب العلوم في زمنه^(٢) ،

(١) ياقوت : معجم الأدباء ، ج ٥ ، ص ٧ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ٣٨ ، ابن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ١٦ ،

ص ٢٤١ ، القرشي : الجواهر المضّية ، ج ٢ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

كان منهم ابنه " محمد " والوزير " علي " ^(١) . واشتهر بمجالسه العلمية ، التي كانت محلّ ثناء عدد من المؤرخين ، فقد ذكر " سبط ابن الجوزي " ^(٢) أنّ مجالسه تلك كان يحضرها المحدثون والفقهاء والأشراف وقاضي القضاة ، وذكر " الذهبي " ^(٣) أنّ مجالسه كان يشهدها الكثير من أهل العلم ، ولم يكن ببغداد حينذاك ما يُماثلها . وأكد " السيوطي " ^(٤) ذلك أيضاً فأشار إلى أنّ مجلس إملائه كان يحضره كافة أرباب العلم من الطوائف المختلفة .

ولم يقتصر النشاط العلمي لطراد الزنبيني على حاضرة الخلافة العباسية " بغداد " حيث كان يُقيم ، بل شمل بعض المدن الأخرى التي زارها في فترات مختلفة من حياته ، فقد أشارت بعض الروايات إلى أنّه حدث بمدينة " أصبهان " ^(٥) ، في بعض رحلاته ^(٦) ، كما كانت له في سنة ٤٨٩هـ / ١٠٩٦م مجالس علمية في كلٍّ من مكة والمدينة ^(٧) . ولعلّ نشاطه العلمي في عدد من البلدان قد أسهم في اتساع شهرته ، ومعرفة الناس بمنزلته وفضله ، ولذا وفد إليه الكثير من طلاب العلم من مختلف الأقطار ^(٨) .

(١) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ١٩١ ، القرشي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٨٢ .

(٢) مرآة الزمان ، ج١ ، ص ٣١٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص ٣٨ .

(٤) رفع الباس ، ص ٣٠٠ .

(٥) " أصبهان " : مدينة مشهورة ، تقع في الإقليم المعروف باسم " بلاد الجبل " في منطقة المشرق .

(٦) ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٢٠٦ .

(٧) الذهبي : المصدر السابق ، ج١٩ ، ص ٣٨ .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٧ ، ص ٤٤ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج١ ، ص ٣١٦ ،

الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٨) سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣١٦ ، السيوطي : رفع الباس ، ص ٣٠٠ .

وفضلاً عما اشتهر به " طراد الزبيني " من نبوغ علمي ، وما كان له من نشاط ملموس في ميادين الحياة العلمية ، فقد كان يحظى أيضاً بالتوثيق والتقدير من جانب العلماء ، وهي سمة مهمة ترفع من قدر العالم ، وتُعطي مزيداً من الأهمية لأقواله ومروياته ، ومَن شهد له بهذا التميّز الإمام " الذهبي " ^(١) الذي ذكر أنه كان " ثقةً ثبّتاً " ، كما ذكر العلامة " السيوطي " ^(٢) أنه كان " ثقةً فاضلاً " .

ومّا يدلّ أيضاً على مكانته العلمية وثقة العلماء به وبرواياته ، أن اسمه ورَدَ في العديد من أسانيد بعض العلماء ، فقد ذُكر " طراد الزبيني " - مثلاً - في مواضع عدّة من أسانيد العلامة " الذهبي " في كتابه " سير أعلام النبلاء " ، ليس في بيانه لبعض المسائل التاريخية ، وإنّما في أثناء ذكره للأحاديث النبوية ^(٣) .

لم يكن " طراد الزبيني " هو الأُوحد بين أخوته المشهور بطلب العلم والنبوغ فيه ، بل كان لبعضهم أيضاً باعٌ في عدد من العلوم والمعارف ، ومنهم " أبو طالب الحسين بن محمد بن علي الزبيني " .. نشأ " أبو طالب " نشأة علمية ، وتلمذ على عدد من العلماء في العراق والحجاز ، ومالِبث أن أضحى متبحراً في عدد من العلوم ، ولذا أشاد به ويعلمه العديد من العلماء ، فوصفه بعضهم بـ " الإمام العالم " ، كما وُصف بأنه " فقيه بني العباس " ^(٤) ، وشهد له بعض علماء عصره بأنّه أكثر الهاشميين في أيامه علماً وأجلّهم قدراً ^(٥) .

(١) سير أعلام النبلاء ، ج٩ ، ص ٣٩ .

(٢) رفع الباس ، ص ٣٠٠ .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء ، ج١ ، ص ١٢٥ ، ج٢ ، ص ٦٣٠ - ٦٣١ ، ج٤ ، ص ٧٣ ، ٥٧١ ، ج٨ ، ص ٤٠٠ ، ج٩ ، ص ٣٨ ، ج١٠ ، ص ٥٠٨ ، ج٢٠ ، ص ٢٠٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٩ ، ص ٣٥٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٩ ، ص ٣٥٥ .

ولما علا صيته واتسعت شهرته ، طَفِقَ طُلَّابُ العلم يفيدون منه ويروون عنه ، وقصَّدهَ الناس وحدث عنه كثيرون ، كان من بينهم ابن أخيه الوزير " علي ابن طراد الزينبي " ^(١) . ومما يدلُّ على كثرة مَنْ كانوا يتلمذون عليه ويروون عنه ما أشار إليه " السمعاني " ^(٢) من أنَّه سمع من عدد من علماء الشام والعراق وخراسان مَنْ رَوَوْا عنه . وقد تَبَحَّرَ في المذهب الحنفي وصار كبير فقهاء هذا المذهب في عصره ، ولا سِيَّما في بلاد العراق ، حيث وصفه " الذهبي " ^(٣) بـ " رئيس الحنفية " ، كما وصفه " السيوطي " ^(٤) أيضًا بـ " رئيس الطائفة الحنفية في زمانه " ، وذكر أنه كان " بارعًا في المذهب " .

ولم يقتصر أثر " أبي طالب الزينبي " في الحياة العلمية في الدولة العباسية على هذه الجوانب فحسب ، بل إنَّه عَمِلَ أيضًا في ميدان التدريس ، فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية ^(٥) أنَّه درَّس مدَّة طويلة في مدرسة " شرف المُلْك أبي سعد المستوفي " ^(٦) ، وهي مدرسة من مدارس " بغداد " بناها " شرف المُلْك " عند " باب الطاق " ^(٧) ، ووفقًا لما يُشير إليه " ابن الجوزي " ^(٨) فقد كان " أبو طالب الزينبي "

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٩ ، ص ٣٥٣ .

(٢) الأنساب ، ج٣ ، ص ١٩١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ، ج٩ ، ص ٣٥٣ .

(٤) رفع الباس ، ص ٢٩٥ .

(٥) الذهبي : المصدر السابق ، ج٩ ، ص ٣٥٤ ، ابن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٣ ، ص ٢٧ .

السيوطي : المصدر السابق ، ص ٢٩٥ .

(٦) هو " شرف المُلْك أبو سعد محمد بن منصور المستوفي الخوارزمي " ، كان - كما وصفه بعض المؤرخين - رجلًا جليل القدر ، صدرًا معظمًا ، عمل في ديوان السلطان " ملكشاه السلجوقي " ، واهتمَّ ببناء المدارس . توفِّي سنة ٤٩٤هـ . انظر ترجمته في : (الذهبي : المصدر السابق ، ج٩ ، ص ١٨٨ - ١٨٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٦ ، ص ١٧٩) .

(٧) " باب الطاق " : محلة كبيرة ببغداد في الجانب الشرقي منها . (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٣٠٨) .

(٨) المنتظم ، ج١٧ ، ص ١٦٦ .

قيماً على هذه المدرسة أيضاً ، ولم يكن - فقط - مُدرّساً فيها .

وكان الوزير " علي بن طراد " أحد الحريصين من أبناء البيت الزيني على طلب العلم والنبوغ فيه ، فعلى الرغم من انشغاله بشؤون الوزارة في بعض سني حياته ، إلا أنّ ذلك لم يصرفه عن الاهتمام ببعض العلوم والعناية بتحصيلها ، ووفقاً لما تذكره بعض الروايات فقد تتلمذ " علي بن طراد " على العديد من علماء عصره ، كان منهم والده " طراد الزيني " وعمّه " أبو نصر محمد بن محمد بن علي الزيني " وعمّه الآخر " أبو طالب الزيني " ، وأجاز له بعض العلماء ، وروى الكثير ، كما حدّث عنه ثلّة من العلماء البارزين^(١) .

وكان ابن عمّه " أبو القاسم علي بن الحسين الزيني " هو الآخر من المهتمّين بتحصيل العلوم . تتلمذ على عدد من العلماء ، ومنهم والده وعمّه " طراد الزيني " ، وروى عنه العديد من طلاب العلم . ويبدو أنه نبغ في بعض العلوم ، يدلّ على ذلك أنه وُلّي قضاء العراق سنة ٥١٣هـ / ١١١٩م^(٢) . ووفقاً لما تضمّنته بعض الروايات فإنّ " أبا القاسم الزيني " لم يُولّ القضاء فقط ، وإنّما عُيّن في منصب " قاضي القضاة " في الدولة العباسية ، وذلك في أيام الخليفة " المسترشد بالله " ^(٣) .

ولأبي القاسم الزيني مصنّفات في بعض العلوم ، ولا سيّما الفقه والحديث ، منها كتاب " الجامع الكبير " ، وكتاب " التجريد " - في الفقه - وكتاب

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، ابن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٢١ ، ص ١٠٥ .

(٢) الذهبي : المصدر السابق ، ج ٢٠ ، ص ٢٠٧ .

(٣) ابن أبيك الصفدي : المصدر السابق ، ج ٢١ ، ص ٣٨ ، السيوطي : رفع الباس ، ص ٣١١ .

"الإيضاح" ، وهو شرح لكتابه "التجريد" في ثلاثة مجلدات^(١) .

ولم يكن اهتمام "الزنبليين" بالجوانب العلمية مقتصرًا على كبارهم والبارزين منهم فحسب ، بل إنه شمل العديد منهم ممن كانوا أقل شهرة أيضًا ، فقد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أن "أبا نصر محمد بن محمد بن علي الزنبلي" ، المتوفى سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م ، كان ذا عناية ببعض العلوم ، طلب العلم على أربابه ، وروى عنه كثيرون ، ومن بينهم ابن أخيه "علي بن طراد الزنبلي" وأخوه "محمد" ، ورحل إليه العديد من طلاب العلم ، وكان معروفًا بتضلعه باللغة العربية^(٢) . ويُشير "السمعاني"^(٣) إلى أنه سمع من عدد من العلماء الذين رَووا عنه في عدد من البلدان ، ومنها "مكة" و "بغداد" و "أصبهان" وغيرها .

وكان "أحمد بن هبة الله بن محمد بن علي الزنبلي" ، المتوفى سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨م ، من أهل العلم أيضًا ، فقد ذكرت بعض الروايات أنه روى عن عمه "أبي نصر الزنبلي" ، كما روى عنه بعض مشاهير علماء القرن السادس الهجري كأبي سعد السمعاني وابن عساكر^(٤) . كما كان "القاسم بن علي بن الحسين الزنبلي" ، المتوفى سنة ٥٦٣هـ / ١١٦٨م ، ذا باع في العلم ، فقد أشارت بعض الروايات إلى أنه كان فقيهاً حنفياً ، له أدب وشعر^(٥) . وكان "أبو العباس محمد بن علي بن طراد الزنبلي" ، المتوفى سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م ، "مقبلاً على العلم ،

(١) الزركلي : الأعلام ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ج٤ ، ص ٢٧٩ .

(٢) الذهبي : المصدر السابق ، ج١٨ ، ص ٤٤٤ .

(٣) الأنساب ، ج٣ ، ص ١٩١ .

(٤) السيوطي : رفع الباس ، ص ٢٨٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣١٦ .

قرأ الفرائض والأدب" ^(١). كما كان " أبو القاسم قُثم بن طلحة بن علي الزيني " ، المتوفى سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م ، من العارفين ببعض العلوم ، الحريصين على طلبها ، وبخاصة ما يتعلّق منها بالأنساب والأخبار والأشعار ^(٢) .

* * *

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٢٥ .

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ، ج ٥ ، ص ٧ ، ابن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٢٤ ، ص ١٥٠ .

الخاتمة :

وبعد : فقد كشفت هذه الدراسة عن عدد من النتائج ، أهمّها ما يلي :

- تَبَيَّنَ لنا أنَّ فترة القرنين الخامس والسادس الهجريين هي الفترة التاريخية الرئيسة التي اشتهر فيها الزنبليون في العصر العبّاسي ، حيث سطع في أثنائها نجم عدد منهم ، ومن أبرزهم : " طراد بن محمد الزنبلي " ، المتوفى سنة ٤٩١هـ / ١٠٩٨م ، وأخوه " الحسين بن محمد الزنبلي " ، المتوفى سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م ، والوزير " علي بن طراد الزنبلي " ، المتوفى سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٤م ، وابن عمّه " علي بن الحسين الزنبلي " ، المتوفى سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٩م .

- اتَّضح لنا من خلال هذه الدراسة أنَّ عددًا من " الزنبليين " كان لهم أثر في الحياة السياسية في الدولة العباسية ، وبخاصة في أيام الخلفاء " القائم بأمر الله " ، و " المقتدي بأمر الله " ، و " المسترشد بالله " و " المقتفي لأمر الله " .

- حَظِيَ العديد من " الزنبليين " بثقة الخلفاء العباسيين يدلّ على ذلك أنهم كانوا يعهدون إليهم ببعض المهامّ الجليّة ، إضافة إلى توليتهم بعض المناصب المهمّة في الدولة العباسية . ولم يتحدّث المؤرّخون إلّا عن حالات يسيرة ذُكر فيها أنَّ قِلّة قليلة من أبناء البيت الزنبلي حدثت بينهم وبين مَنْ كان معاصرًا لهم من خلفاء بني العباس فجوة أو خلاف .

- تَبَيَّنَ لنا في هذا البحث أنَّ " علي بن طراد الزنبلي " كان أبرز أعلام " الزنبليين " وأوسعهم شهرةً وأكثرهم أثرًا في الحياة السياسية في الدولة العباسية ، فقد تولى الوزارة في عهد الخليفة " المسترشد بالله " ، كما كان له الدّور الأكبر في اختيار " المقتفي لأمر الله " خليفة للدولة العباسية سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م ، هذا فضلاً عن تولّيه الوزارة في أيام هذا الخليفة بضع سنوات .

— كان لبعض أعلام الزبنيين أثر في الحياة العلمية في الدولة العباسية ، ولا سيّما في القرن الخامس الهجري ، حيث اشتهر في ذلك القرن الأخوان " طراد " و " الحسين " ابنا محمد الزبني ، واللذان كانا على جانب من النبوغ في ميادين الحياة العلمية .

— تولّى عدد من أبناء الأسرة الزبينية " نقابة العباسيين " في حاضرة الخلافة العباسية لعهود طويلة ، حتّى إنّها أضحت حكراً عليهم في بعض الفترات دون غيرهم ، ومع أنّ " النقابة " لم تكن ذات أثر مباشر على الحياة السياسية في الدولة العباسية في تلك العصور ، إلّا أنّ تولّي " الزبنيين " لها يدل على المنزلة العالية التي كانوا يتبوّؤونها عند الخلفاء العباسيين من ناحية ، كما يعني من ناحية أخرى تميّز البيت الزبني في الأسرة العباسية كلّها .

— اتّضح لنا من خلال هذا البحث أنّ " الزبنيين " عاشوا جُلّ أيامهم في حاضرة الخلافة العباسية " بغداد " ، وذلك لارتباطهم بالخلفاء العباسيين من ناحية ، ولأنّ حاضرة الخلافة كانت منزل آبائهم وأجدادهم منذ بنائها في فجر الدولة العباسية ، زمن الخليفة " أبي جعفر المنصور " .

— لم يُعدّ للزبنيين ذكر عند المؤرخين بعد نهاية الدولة العباسية ، في أواسط القرن السابع الهجري ، بل إنّ المصادر التاريخية لا تذكر شيئاً عنهم حتّى قبل سقوط الخلافة العباسية بنحو عقدين من الزمن ، إذ إنّ آخر من اشتهر من أبناء البيت الزبني هو " أبو طالب عبد الله بن المظفر بن علي بن طراد الزبني " ، المتوفّى سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٨م .. ولعلّ ذلك يُعزى إلى ارتباط شهرتهم بالخلفاء العباسيين إلى حدٍّ بعيد ، وعلاقتهم الوطيدة معهم ، إضافة إلى عدم ظهور شخصيّات مهمّة من " الزبنيين " في العهود التالية .

المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر :

- ١- ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) :
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ، تحقيق : عبد القادر أحمد طليمات ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
- الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
- ٢- البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) :
- جُمَل من أنساب الأشراف ، تحقيق : د. سهيل زكّار ، ود. رياض زركلي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- ٣- البنداري : الفتح بن علي (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) :
- تاريخ دولة آل سلجوق ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ٤- ابن تغري بردي : أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م) :
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- ٥- ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) .
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- ٦- ابن حزم الأندلسي : علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م) :
- جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ٧- الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) :
- معجم الأدباء ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- ٨- ابن خلكان : شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) :
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- ٩- ابن خياط : أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العُصفري (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) :
- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : د. أكرم ضياء العمري ، الطبعة الثانية ، دار القلم ، بيروت ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- ١٠- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) :
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
- سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- العبر في خبر من غبر ، تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ١١- الزبيدي : محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م) :
- تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
- ١٢- سبط ابن الجوزي : شمس الدين يوسف بن قزأوغلي (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) :
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (٤٨١ - ٥١٧هـ / ١٠٨٨ - ١١٢٣م) ، تحقيق : د. مسفر بن سالم بن عريج الغامدي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ١٣- السمعاني : أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٧م) :
- الأنساب ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، الطبعة الأولى ، دار الجنان ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

- ١٤- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) :
- رفع الباس عن بني العباس ، تحقيق : يحيى محمود بن جُنيد ، مجلة " عالم المخطوطات والنوادر " ، المجلد الثامن ، العدد الثاني ، رجب - ذو الحجة ١٤٢٤هـ / سبتمبر ٢٠٠٣م - فبراير ٢٠٠٤م .
- ١٥- الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) :
- الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .
- ١٦- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) :
- تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت .
- ١٧- ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م) :
- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت .
- ١٨- ابن العماري : محمد بن علي بن محمد (ت في حدود ٥٨٠هـ / ١١٨٤م) :
- الإنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق : د. قاسم السامرائي ، دار العلوم ، الرياض ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ١٩- القرشي : عبد القادر بن محمد (ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م) :
- الجواهر المضئية في طبقات الحنفية ، تحقيق : د. عبد الفتاح محمد الحلو ، دار هجر ، القاهرة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
- ٢٠- ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) :
- البداية والنهاية ، دار هجر ، القاهرة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ٢١- ابن كنان : محمد بن عيسى بن محمود (ت ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م) :
- حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين ، تحقيق : عباس صباغ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .
- ٢٢- الكندي : أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م) :
- ولاية مصر ، تحقيق : د. حسين نصار ، دار صادر ، بيروت .

- ٢٣- الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) :
- الأحكام السلطانية ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
- ٢٤- المنذري : عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) :
- التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق : د . بشّار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .
- ٢٥- ابن النّظام اليزدي : محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) :
- العراضة في الحكاية السلجوقية ، ترجمه من الفارسية إلى العربية : د . عبد النعيم محمد حسنين ، و د . حسين أمين ، بغداد ، ١٩٧٩م .
- ٢٦- النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م) :
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : د . أحمد كمال زكي ، القاهرة ، ١٩٨٠م .
- ثانيًا : المراجع :
- ١- إقبال : عباس :
- تاريخ إيران بعد الإسلام ، ترجمه من الفارسية إلى العربية : د . محمد علاء الدين منصور ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- ٢- الباشا : حسن (دكتور) :
- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨م .
- ٣- حسنين : عبد النعيم محمد (دكتور) :
- سلاجقة إيران والعراق ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
- ٤- الخطيب : مصطفى عبد الكريم :
- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
- ٥- الديوه جي : سعيد :

- تاريخ الموصل ، بغداد ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٦- الزركلي : خير الدين :

- الأعلام ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م .

* * *